نهاية الكسوفين
عن حكم الأبوين
الشريفين

تأليف الشيخ العلامة المحدث المفسر
عبد الله نجيب سراج الدين

تقديم : عادل بن شعيب شلار الرفاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الفضل والإنعام والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين شفيع الخلائق ، الذي ترجى شفاعته يوم الدين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وبعد :

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نفع عمه أبا طالب بأن شفع له عند الله فجعله ربه أخف الناس عذاباً يوم القيامة ، روى البخاري ومسلم عن عباس بن عبد المطلب، قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: ((نعم، هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)) فهذه شفاعته صلى الله عليه وسلم بمن كان مقطوعا بكفره ، فكيف بمن لم يقطع بكفره كوالدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فحري أن يشفع لهما فيكونان من أهل النجاة .

ولما كان الناس يتمارون في الكلام على قضية والدي النبي صلى الله عليه وسلم ، أردت أن أعرف تحقيق هذه المسألة فقرأت كتباً عديدة فيها ، وأفضل كتاب مختصر وجدته هو ما ذكره الشيخ عبد الله سراج الدين الحلبي في كتاب هدي القرآن إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان . فقررت أن انقله في مذكرة مستقلة ليكون ذلك أدعى إلى الاستفادة منها للناس وسميتها (نهاية الكسوفين عن حكم الأبوين الشريفين) ليدل عنوان الرسالة على ظهور أنوار الحقائق لقارئ هذه الرسالة .

والله أرجو أن يتقبل مني هذا العمل والقصد ويغفر لي ولوالدي وللمسلمين والمسلمات ، ويلحقني بالصالحين آمين .

ثم إن من عادة الشيخ عبد الله سراج الدين أن يبدأ تآليفه بطلب قراءة الفاتحة على روح والده نجيب رحمه الله ، وان اطلب قراءة الفاتحة والدعاء أيضاً للشيخ نجيب ولولده عبد الله رحمهما الله .

وصف أصلاب وأرحام جدود النبي صلى الله عليه وسلم

وروى البزار وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل وابن أبي حاتم من طريقين، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : و وتقلبك في الساجدين » ، قال ابن عباس : ما زال النبي — صلى الله عليه وسلم – يتقلب في أصلاب الأنبياء ، حتى ولدته أمه نبياً.

وفي رواية عنه قال : تقلبه من صلب نبي إلى صلب نبي ، حتى أخرجه الله تعالى نبي اً . كما في تفسير ابن كثير والدر المنثور

وفي رواية عن قتادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : وتقلبك في الساجدين و قالا : المراد بالساجدين المؤمنين .

وهذا يشمل أولاً الأنبياء الذين تقلب في أصلابهم ، ويشمل غيرهم من بقية أصوله ، فإنهم كانوا على توحيد الله تعالى ،

وخاصة الأبوين الكريمين ، فإنه ما على الملة الحنيفية ، كانا موحدين لله تعالى ، ومؤمنين به سبحانه ، على أصل الفطرة الدينية ، التي فطروا عليها ، بدليل قوله : « بعثت من خير قرون بني آدم. قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه ، كما في البخاري وغيره .

فكل قرن من آدم إلى قرنه ، فيه مؤمنون ، وفيه كفار ، ولا شك أن المؤمنين هم أهل الخير ، فلما قال : « بعثت من خير قرون بني آدم ... » الحديث ، أي : بعثت من خير المؤمنين الذين هم خير كل قرن حتى قرنه ، فإن فيه المؤمنين الموحدين – وإن كانوا قلة – ، فبعث من خيرة كل قرن ، فدل ذلك على أن كل أصوله موحدة مؤمنة بالله تعالى ، ولا سيما الأبوين الشريفين .

روى أبو نعيم في الدلائل والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ع قال : «ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما ، فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني من عهر

الجاهلية ، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي ، فأنا خيركم نفسا وخيركم أبا)) وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس قال : قال رسول الله : «لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة ، مصفى مهذبة ، لا تنشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما » صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

حكم الأبوين الشريفين

اعلم أن الأبوين الشريفين هما ناجيان من العذاب حقا كما عليه الأئمة الأجلة من أهل السنة ، وأنها على الإيمان ، وذلك: إما عن طريق أن الله تعالى أحياهما له فأمنا به ، كما روى ذلك جماعة من المحدثين – وهذا من باب الإكرام لسيدنا محمد – ، أو لأنها من أهل الفترة وهم ناجون ، أو باعتبار أنها

ماتا على الفطرة الدينية ، بدليل أنهما لم يشركا ، ولم يعبد صناً ، فالحق كل الحق أنها مؤمنان ناجيان ، حتى قال بعض المفسرين المحققين : وأنا أخشى الكفر على من يقول فيها بغير ذلك . اه.

فلو لم يكن سوى أنه ما على الملة الحنيفية لكفاهما ذلك إيمانا وتوحيد .

وقد سئل القاضي أبو بكر ابن العربي أحد أئمة المالكية رحمه الله تعالى عن رجل قال : إن أبا النبي – صلى الله عليه وسلم – في النار .

فأجاب : بأن من قال ذلك فهو ملعون ، لقول الله تعالى :

((إن الذين يؤدون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة))

و قال : ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه : إنه في النار .

وهاك تفصيل ذلك وتوضيحه :

الطريق الأول في نجاته ما بسبب أن الله تعالى

أحياهما فآمنا : أما الدليل على أن الله تعالى أحياهما فآمنا به ، فقد جاء ذلك في الحديث ، أنه سأل ربه أن يحيي له أبويه . فأحياهما له ، فآمنا به ثم أماتها .

وقد ذكر كثير من أئمة حفاظ الحديث : أن هذا الحديث من قسم الضعيف الذي يجوز روايته في الفضائل والمناقب ، لا من قسم الموضوع كما زعمه ابن الجوزي ، كما نص على ذلك : الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي ، والحافظ أبو القاسم الطبراني ، والحافظ ابن عساكر ، والحافظ أبو حفص ابن شاهين ، والحافظ أبو القاسم السهيلي ، والإمام القرطبي ، والحافظ محب الدين الطبري ، والحافظ ناصر الدين بن المنير ، والحافظ أبو الفتح فتح الدين بن سيد الناس ، ونقله عن بعض أهل العلم ومشي عليه الصلاح الصفدي في نظم له، والحافظ شمس الدين الدمشقي في أبيات له فقال :

حباالله النبي مزيد فضل ** على فضل وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه ** لإيمان به فضلاً منيفا
فسلّم فالقديم بذا قدير ** وإن كان الحديث به ضعيفا

والحديث الضعيف إذا تعددت طرقه دل ذلك على أن له أصلا – كما هو مقرر عند علماء الحديث .

وروى الحافظ محب الدين الطبري بسنده عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي نزل الحجون – موضع بمكة – كئيباً حزيناً ، فأقام به ما شاء الله عز وجل ، ثم رجع مسرور اً فسألته عن ذلك فقال : «سألت ربي إحياء أمي فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها » – أي : إلى الموت –

وروى الحافظ ابن شاهين بسنده عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي نزل إلى الحجون كئيباً حزيناً ، فأقام به ما شاء الله عز وجل ثم رجع مسروراً وقال : «سألت الله ربي فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها . «

وروى الخطيب بإسناده مثل ذلك ، وروى الدار قطني نحوه كما في (المواهب) وغيرها . . .

وأورد السهيلي في (الروض) حديثًوجده بخط جده يرفعه إلى أبي الزناد ، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتها)

قال السهيلي : والله تعالى قادر على كل شيء ، وليس يعجز رحمته وقدرته شيء ، ونبيه أهل أن يختصه الله تعالى بما شاء من فضله ، وينعم عليه بما شاء من كرامته . اه .

وقد أحيا الله تعالى على يده جماعة من الموت : منهم ابنة الرجل الذي قال للنبي : لا أومن بك حتى تجيء لي ابنتي ، فجاء إلى قبرها وناداها ، فقالت: «لبيك وسعديك » رواه البيهقي في الدلائل .

وتوفي شاب من الأنصار فتوسلت أمه – وهي عجوز عمياء – (بهجرتها الله ورسوله فأحياه الله تعالى) رواه البيهقي وابن عدي وغيرهما .

ولما مات زيد بن خارجة – من سراة الأنصار – كشفوا عنه فسمعوا على لسانه قائلا يقول : (محمد رسول الله) الحديث رواه ابن أبي الدنيا وغيره .

وما جاء في بعض الأحاديث مما يتوهم منها عدم نجاة الأبوين الشريفين فهو محمول على ما قبل إحيائها وإيمانها به .

وقد ذهب كثير من محققي العلماء إلى أن الأبوين الشريفين هما من أهل التوحيد وقد ماتا على ذلك ، ولم يثبت بدليل قطعي أنها مشركان ، ولكن الله تعالى أراد أن يشرفها بإيمانها برسالة ابنها سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم ؛ فأحياهما له ليؤمنا به ، ليسرهما ويسر بذلك حبيبه الأكرم صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم ، وستأتي الأدلة على توحيدهما .

وأما الطريق الثاني على نجاة الأبوين الشريفين فهو أنهم من أهل الفترة :

وأهل الفترة ناجون ، – وأهل الفترة هم كل من كان بين رسولين ، ولم يكن الأول مرسلا إليهم ، ولا أدركوا رسالة الثاني وقيل : كل من لم يدرك رسالة رسول من الرسل ، سواء أرسل إليه أو لأب والأكثر على الأول .

ومن المعلوم أن أهل الفترات متعددون ، ولكن إذا أطلقت الفترة يراد بها ما بين سيدنا عيسى وبين سيدنا رسول الله سيدنا محمد ، قال تعالى : و يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير .

وتلك الفترة كانت مدتها : ستمائة سنة ، وقيل خمسمائة وستون ، وقيل : خمسمائة وأربعون .

والفترة في اللغة : هي على وزن فعلة ، والمادة تدل على الانقطاع والسكون عن العمل، والمراد بها هنا : انقطاع ما بين الرسولين .

وقد ذهب جمهور العلماء : إلى نجاة أهل الفترة ، وأنهم لا يعذبون ، لأنهم لم تبلغهم الدعوة ، ولم تقم عليهم الحجة – وقد جرى على ذلك أئمة الشافعية في الفقه ، والأشاعرة في الأصول ، وقد نص على ذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه في الأم ، و المختصر ، وتبعه جميع الأصحاب ، فلم يشذ أحد منهم بالمخالفة . كما نقل ذلك عنهم المحققون .

والأدلة على القول بنجاة أهل الفترة كثيرة أذكر جملة منها :

قال تعالى :

((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا))

قال الحافظ السيوطي : أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عند هذه الآية بسند حسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله : « الهالك في الفترة يقول : رب لم يأتني

كتاب ولا رسول ، ثم قرأ هذه الآية : ((لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين))

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما عن قتادة في الآية قال : إن الله تعالى ليس بمعذب أحد حتى يسبق إليه من الله خبر ، أو تأتيه من الله بينة – أي : بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد أخبر سبحانه أنه لا يعذب أحدا حتى بعث رسولاً يهدي إلى الحق ، ويردع عن الضلال ، ويأتي بالبينات ، ويقيم الحجج ، ويمهد الشرائع ؛ وبذلك تقوم حجة الله تعالى على العباد ، ولا يبقى عذر لأهل العناد .

قال الله تعالى : ((رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيز حكيماً)) .

فلو أنه سبحانه عذبهم قبل أن يرسل إليهم رسو لا لاحتجوا بأنهم لا يعلمون ، كما أخبر سبحانه بقوله : (ولو أنا

أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا : ((ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى)) .

وقال تعالى : ((ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا : ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين)) الآيات .

وقال تعالى : ((وما أهلكنا من قرية إلا ولها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين))

فقوله تعالى : ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)) وهذا عام في عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فلا يهلك قوما في الدنيا ولا يعذبهم في الآخرة إلا بعد إرسال رسول فيهم ، وإقامة الحجة عليهم .

أما الدليل على أنه لا يعذبهم في الدنيا إلا بعد إرسال الرسول فيهم ، فقد قال تعالى : ((وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون)) . .. – فيبعث فيهم الرسل بالبينات ،

وتقوم الحجة عليهم ، فهناك من يجحد ويعاند ، فيكون ظالم لنفسه ، لأنه عرضها للعذاب ، فيستحقون العذاب والهلاك ، بعنادهم وإعراضهم عن قبول الحق الذي ظهر بالبينات ، فيهلكهم، وهم ظالمون لأنفسهم ، ولكنه سبحانه لم يظلمهم قال تعالى : ((وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون)) . وقال تعالى : ((وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون))

فالله تعالى لا يعذب ولا يهلك قومين بسبب ظلم فعلوه ؛ وهم غافلون عنه ، ولم ينبهوا عليه ، ولم ينهوا عنه ؛ بل إنه سبحانه ينبههم ، ويحذرهم من المظالم والمخارم بواسطة الرسل صلوات الله تعالى عليهم ، وإنزال الكتب ، حتى لا يبقي لهم عذراً بسبب جهلهم ، أو غفلتهم وعدم علمهم .

وقوله تعالى : – في الآية السابقة – وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث .. يدلك على أن الرسل صلوات الله تعالى عليهم وسلامه إنما يبعثهم الله تعالى من خيرة البلاد والمدن

المتحضرة ، فإن الأم معناها الأصل والمرجع ، فهو سبحانه يبعث في أمهات القرى – أي : أمهات المدن رسولاً يبلغ أهل تلك الأم ، ومن حولها من القرى ؛ وتسمى أمهات القق ري في الوقت الحاضر بالعواصم ، فكل مجموعة من البلاد لها عاصمة يرجع إليها في أمورها وتدابيرها ومصالحها ، ولما كانت أم أمهات القرى والبلاد عامة هي : مكة المكرمة ، بسبب وجود بيت الله تعالى المعظم فيها ، وهي : الكعبة المشرفة ، التي حيت الأرض من تحتها حين خلق الله تعالى الأرض، وإليها مرجع البلاد في حجها ومصلاها وغير ذلك ، فهي الأم الكبرى لجميع الأمهات ، لذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يبعث فيها صاحب الرسالة العامة لجميع البلاد ، شرقها وغربها، وشمالها وجنوبها ، قال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتندر أم القرى ومن حولها . . . . .)

.فقوله تعالى : (ومن حولها) يشمل جميع البلاد في جميع الجهات ، لأن مكة المكرمة هي قلب الأرض كلها – بسبب بيت الله المعظم .

وأما الدليل على أن الله تعالى لا يعذب في الآخرة إلا بعد إرسال الرسل بالبينات ، وإقامة الحجج بالآيات ، وإزالة الشبهات ، وتذكيرهم بيوم الحساب .

فقد قال الله تعالى : (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنها : ألم يأ تكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : بلى ولكن حقت كلمة الع ذاب على الكافرين قيل : ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها في مثوى المتكبرين)

فانظر في جواب الكفار وقولهم : ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ، والمعنى : أنهم اعترفوا بإقامة الحجة عليهم ، وأن رسلهم قد بلغتهم ، وبينت لهم ، وأظهرت لهم نور الحق ، ولكنهم تعامو ، وراحوا يعاندون ويعارضون كبراً وعتوا ،

فكفروا – أي : ستروا الذي ظهر لهم بجحودهم وتكذيبهم ، ووقفوا وراء حجاب كبرهم وإنكارهم ، فهم حقاً كافرون – أي : ساترون الحق وجاحدوه ، كما قال تعالى : (أولئك هم الكافرون حقاً) الآية من سورة النساء . . . ولذلك كانت النتيجة أنهم قالوا : بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين أي: لأنهم كافرون وجاحدون للحق بعدما تبين لهم ، فقد اعترفوا بحقية العذاب عليهم ، كما قال تعالى : ((كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأ تكم نذير قالوا : بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير وقالوا : لو كنا نسمع أو تعقل ما كنا في أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير)) نسمع أي : لما جاءت به النذر سماع فهم – أو نعقل – أي : نتعقل ما قاله النذر .

فما ظلمهم الله تعالى ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

وقال تعالى : ((وقال الذين في النار لخ زنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟)) – أي : الآيات والحجج القاطعة التي تبين الحق بياناً واضحاً جلياً – ((قالوا : بلى)) – أي : قد جاء رسلنا بالبينات الواضحة الساطعة – ((قالوا : فادعوا وما دعاء الكافرين)) – أي : الجاحدين للحق ، الساترين له بعد ظهوره – ((إلا في ضلال)) .

وقال تعالى : – مخاطباً للكفار الذين استحقوا النار – : ((يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يق صرون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا : شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين)) – أي : جاحدين الحق بعدما ظهر لهم ((ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون)) .

فقد تبين لك من جميع ما تقدم أن الله تعالى لا يعذب إلا بعد إرسال الرسل بالبينات ، وإقامة الحجج القاطعات ، فأما أهل

الفترة : فإنهم لم تبلغهم الرسالة ، ولم تقم عليهم الحجة ، فهم لا يعذبون ، كما دل عليه قوله تعالى : ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)) .

وقد جرى على هذا المسلك في والدي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من كبار العلماء فصرحوا بأنها لم تبلغها الدعوة .

قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى : وهذا المسلك أول ما سمعته من شيخنا شيخ الإسلام . شرف الدين المناوي ، فإنه سئل عن والد رسول الله هل هو في النار ؟ !

فزبر السائل زبأوة شديدة – أي : زجره وانتهره بشدة – فقال السائل : هل ثبت إسلامه ؟ – فقال : إنه مات في الفترة ، ولا تعذيب قبل البعثة . اهـ.

قال عبد الله سراج الدين : والشيخ شرف الدين قد لازم الحافظ ولي الدين العراقي ، وتخرج به في : الفقه والأصول ، وسمع الحديث منه ، ومن الشرف ابن الكويك ، وتصدى

للإقراء والإفتاء ، وتخرج به الأعيان من أولي العلم ، وولي تدريس الفقه الشافعي ، وقضاء الديار المصرية ، وله تصانيف متعددة ، وتوفي سنة /٨٧١/هـ رحمه الله تعالى .

قال الحافظ : وقد نقل سبط ابن الجوزي في كتاب (مرآة الزمان) عن جماعة – فإنه حكى كلام جده على حديث إحياء أمه ثم قال ما نصه : وقال قوم : قد قال الله تعالى : وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ، قال : والدعوة لم تبلغ أباه وأمه فما ذنبهما؟

فالأبوان الشريفان لم تبلغها دعوة رسول ، وذلك لبعد العهد بالرسل السابقين ، فإن آخر الرسل قبل بعثة نبينا سيدنا محمد. و هو سيدنا عيسى عليه السلام ، وكانت الفترة بينها نحو ستمائة سنة ، ثم إنهما كانا في زمن جاهلية ، وقد طبق الجهل مشارق الأرض ومغاربها، وتوفي الذين يعرفون الشرائع ، ويبلغون الدعوة على وجهها التام ، إلا نفراً يسيراً من أخبار أهل الكتاب : مفرقين في الأمصار ، كالشام وغيرها من بلاد

الروم، ولم يعهد تقلب الأبوين الشريفين في البلاد ، والأسفار إلا إلى المدينة ، ولا عُمّر والده صلى الله عليه وسلم عمراً طويلا ، بحيث يقع لهما فيه التنقيب ، فإن والده عاش من العمر نحو ثماني عشرة سنة ، ووالدته صلى الله عليه وسلم توفيت في حدود العشرين تقريبا كما صححه الحافظ العلائي ، ومثل هذا العمر لا يتسع للفحص عن المطلوب في مثل ذلك الزمان ، لا سيما والمرأة مصونة في بيتها عن الاجتماع بالرجال ، فهما من أهل الفترة الذين قال الله تعالى فيهم : ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)) الآيات كما سبق .

● الجواب عن حديث مسلم :

فإن قيل : فما هو الجواب عن الحديث الذي رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله أين أبي؟ قال: ((في النار » – فلما قف . أي : ذهب – دعاه فقال : « إن أبي وأباك في النار))

فقد أجاب الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى عن ذلك فقال :
إن هذه اللفظة : – إن أبي وأباك في النار – لم يتفق على ذكرها الرواة ، وإنما ذكرها حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس رضي الله عنه ، وهي الطريق التي رواه مسلم منها .
وقد خالفه معمر عن ثابت فلم يذكر : إن أبي وأباك في النار ، ولكن قال : ((إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار))

والمعنى أنه لا يريد بذلك أن يخبر الرجل أن أباه ليس وحده في النار لكفره، بل له أمثال في النار قد كفروا، ومن المعلوم أن الكفر هو الستر، فالكافر في الشرع هو الذي ستر نور الحق بعدما بان له وظهر ، بأن جحده وكذب عناد اً وكبراً ، أو اتباعاً لهواه .

قال الحافظ السيوطي : وهذا اللفظ : أي : « إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار » – لا دلالة فيه على أن والده في النار ، لأنه لم يذكر فيه والده أصلاً.

قال : وهذا اللفظ أثبت من حيث الرواية ، فإن معمر، هو أثبت من حماد ، فإن حمادة تكلم في حفظه ، ووقع في أحاديثه مناكير ، ذكر المحدثون أن ربيبه د سها في كتبه ، وكان حماد لا يحفظ ، فحدث بها ، فوهم فيها ، ومن ثم لم يخرج له البخاري شيئا ، ولا خرج له مسلم في الأصول إلا من روايته عن ثابت .

وقال الحاكم في (المدخل) : ما خرج مسلم لحماد بن سلمة في الأصول إلا من حديثه عن ثابت ، وقد خرج له في الشواهد عن طائفة .

وأما معمر فلم يتكلم في حفظه ، ولا استنكر شيء من حديثه ، واتفق على التخريج له والرواية عنه الشيخان — فكان لفظه أثبت وأصح ...

قال رحمه الله تعالى : ثم وجدنا الحديث ورد من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، بمثل لفظ رواية معمر عن ثابت عن أنس ، فأخرج له البزار والطبراني والبيهقي من طريق إبراهيم

بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أن أعرابياً قال لرسول الله : أين أبي ؟ قال : ((في النار))

قال : فأين أبوك ؟ قال : ((حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار)) .

قال : وهذا إسناد على شرط الشيخين ، فتعين الاعتماد على هذا اللفظ ، وتقديمه على غيره . اهـ

قال عبد الله سراج الدين : وليس في هذا الحديث ما يدل على أن أباه في النار .

فإنه لم يقل له إن أبي وأباك في النار ، وإنما أخبره أن هناك كفاراً أمثال أبي الرجل ، كفروا بعدما تبين لهم الحق الذي جاء به ، فحيثما مر بقبر واحد منهم فبشره بالنار . . .

قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى : فعلم أن اللفظ الأول – إن أبي وأباك في النار – هو من تصرف الراوي ، رواه بالمعنى على حسب فهمه . اهـ.

يعني : أن الراوي فهم من قوله : « حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار» – فهم من ذلك أن أباه أيضا في النار ، فهذا وهم من الراوي ، نشأ عن سوء فهمه فحدث بمعنى ما فهمه قال الحافظ السيوطي : وقد وقع في الصحيحين روايات كثيرة من هذا النمط ، فيها لفظ تصرف فيه الراوي ، والحال غيره أثبت منه ، كحديث مسلم عن أنس في نفي قراءة البسملة ، وقال الشافعي : إن الثابت من طريق آخر ينفي سماعها – أي : سماع البسملة – من قارىء الفاتحة في الصلاة ، ففهم منه الراوي نفي قراءتها ، فرواه بالمعنى على ما فهمه فأخطأ .

قال رحمه الله تعالى : ونحن أجبنا عن حديث مسلم في هذا المقام عن قول الراوي : إن أبي وأباك في النار ، أجبنا بنظير ما أجاب به إمامنا الشافعي رضي الله عنه عن حديث مسلم في نفي قراءة البسملة . اه.

وقد أورد الحافظ السيوطي أحاديث متعددة الطرق ، منها ما رواه ابن ماجه ، ومنها ما رواه الحاكم وصححه ، وما رواه غيرهما ، وليس في شيء منها لفظ : إن أبي وأباك في النار .

قال عبد الله سراج الدين : فانظر يا أخي العاقل رعاك الله تعالى : أتأخذ برواية انفرد بها حماد ! وتدع بقية الروايات .. فالحق أحق أن يتبع ، ورواية الأكثر هي المعول عليها ، ويد الله مع الجماعة .

قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى : ولو فرضنا اتفاق الرواة على اللفظ الأول – أي : لفظ : إن أبي وأباك في النار – كان ذلك معارضا لما تقدم من الأدلة . اهـ – .

يعني : الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على أن أهل الفترة وهم الذين لم تبلغهم الدعوة هم ناجون غير معذبين، بنص قوله تعالى : ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)) وبقية الآيات المتقدمة .

قال رحمه الله تعالى : والحديث الصحيح إذا عارضته أدلة أخرى هي أرجح منه وأقوى : وجب تأويله . اه.

قال عبد الله سراج الدين : نعم هذا إذا اتفق على صحته ، فيكون ظاهره غير مراد ، ويؤول دفعة للتعارض . .

أما الحديث الذي نحن فيه ، وما فيه من لفظ : إن أبي وأباك في النار فإنه رواية المتكلم فيه . ولم يتفق على صحة هذا اللفظ .

هذا وقد ذهب كثير من أئمة العلماء المتقدمين إلى نجاة الأبوين الشريفين باعتبار أنهما من أهل الفترة ، وأهل الفترة هم ناجون غير معذبين ، وقد ذكرت لك الأدلة القرآنية فيما سبق .

قال الإمام أبو عبد الله بن خلفة الوشتاني الأبّي المالكي المتوفي سنة / ٨٢٧/هـ قال في شرحه على صحيح مسلم في الجزء الأول ص370 :

قال بعدما نقل عبارة الإمام النووي رحمه الله تعالى عند رواية : « إن أبي وأباك في النار » – أن من مات في الفترة على ما

كانت عليه العرب من عبادة الأوثان في النار ، وليس هذا من التعذيب قبل بلوغ الدعوة ، لأنه بلغتهم دعوة إبراهيم عليه السلام .. اه. كلام النووي رحمه الله تعالى .

قال العلامة الأبّي معقبا على كلام النووي : تأمل ما في كلامه من التنافي ، فإن من بلغتهم الدعوة ليسوا بأهل فترة ، فأهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ، ولا أدركوا الثاني ، كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى ،، ولا لحقوا النبي. صلى الله عليه وسلم

قال : والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين، ولكن الفقهاء إذا تكلموا في الفترة فإنهم يعنون بها التي بين عيسى عليه السلام ، وبين النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر البخاري عن سلمان أنها كانت ستمائة سنة ، ولما دلت القواطع أي :- الأدلة القرآنية والنبوية القاطعة – أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة ، علمنا أنهم – أي : أهل الفترة – غير معذبين. اه. كلام الأبي رحمة الله تعالى .

فتبين لك أن أكثر أهل العلم على أن أهل الفترة غير معذبين لما تقدم في الآيات القرآنية . .

فإن قلت : جاءت أحاديث صحيحة في تعذيب بعض أهل الفترة كحديث : ((رأيت عمرو بن لحي يجر قصبته – أي : أحشاءه – في النار)) .

وحديث : صاحب المحجن في النار ، وهو الذي كان يسرق الحاج بمحجنه ، فإذا أبصر به قال : إنما تعلق بمحجني الحديث . .

فقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة متعددة :

الأول : أنها أخبار آحاد فلا تعارض الآيات القطعية .

الثاني : أن العذاب قاصر على هؤلاء بسبب الله تعالى هو أعلم به .

الثالث : وهو الأظهر والأوجه والأحق ولا ينافي الجواب الثاني ، وهو أن التعذيب الوارد في بعض أهل الفترة إنما هو بسبب

تضليلهم لمن كان على الفطرة من قومهم ، وشرعوا لهم ما يخالف الشرائع التي أدركوا آثارها : من تحريمهم ما أحل الله تعالى ، وتحليلهم ما حرم الله تعالى ، ليصرفوا وجوه الناس إليهم ، أو بسبب فسادهم ، أو شرورهم ، أو إضرارهم بعباد الله تعالى .

-فمن المعذبين بالسبب الأول : عمرو بن لحي فإنه أول من سنّ للعرب عبادة الأصنام ، وشرع لنفسه ولقومه ما تهواه نفسه ، فحلل ، وحرم ، وبحر البحيرة ، وسيب السائبة ، ووصل الوصيلة – وتبعته قبائل من العرب في ذلك ، حتى كانت لقبائلهم حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً سوى ما لهم في موضع استقرارهم ، ثم لم يكتفوا بعبادة الأصنام حتى عبدوا الجن ، ونسبوا الله البنات ، واتخذوا بيوتاً لها سدنة وحجاب يضاهون بها الكعبة – قال الله تعالى : ((ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا

وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون)) .

-ومن المعذبين بالسبب الثاني صاحب المحجن الذي كان يسرق الحاج بمحجنه ، ويدعي نزاهة نفسه ، ويقول : إن المتاع المسروق قد علق بمحجنه ، واستشرى ضرره . وهكذا هنالك كثير من جاهلية العرب ، كانت شرورهم مستطيرة ، وأضرارهم بعباد الله تعالى كثيرة ، وظلمهم وظلماتهم شهيرة .

وقد ذكر المحققون من أهل العلم ، وشراح الحديث ، وأهل السير ، أن أهل الفترة كانوا على ثلاثة أصناف . :

الصنف الأول : من أدرك التوحيد ببصيرته ، وهؤلاء منهم من لم يدخل في شريعة : كقس بن ساعدة ، وزيد بن عمرو بن نفيل، وأصحابه ، ومنهم من دخل في شريعة حق لم تتغير ولم تتبدل كتبع وقومه من حمير ، وأهل نجران .

الصنف الثاني : من بدل وغير ، وشرع لنفسه ولقومه ، فحلل وحرم ، ومن المعلوم أن التحليل والتحريم والتشريع إنما هو من الله تعالى رب العالمين ، وليس للمخلوق أن يحلل أو يحرم ، ومن هذا الصنف : عمر بن لحي وأمثاله ، ومن هذا القسم من طغى وبغى وظلم واستطار شره على العباد . .

الصنف الثالث : من لم يشرك ، ولا دخل في شريعة نبي ، ولا ابتدع لنفسه شريعة ، ولا دان بدين ، بل بقي عمره على غفلة عن هذا كله . .

فيحمل من صح في الحديث تعذيبه على القسم الثاني .

أما الصنف الثالث : فهم أهل الفترة حقيقة ، وهم غير معذبين ؛ للأدلة القرآنية القاطعة ، وأما أهل القسم الأول فهم من الموحدين الناجين المكرمين بدخول الجنة ، كقس بن ساعدة ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، فقد قال رسول الله ؟ في كل منها : ((إنه يبعث أمة وحده))رواه النسائي في الكبرى وصححه الحاكم

وبناء على ذلك فإن الأبوين الشريفين ليسا من الصنف الثاني قطعاً ، فإنها وجميع أجداده و كانوا أشراف العرب ، وسادتهم ، وكرامهم ، وهم أهل السخاء والكرم ، نجدة المنقطعين ، وإغاثة الملهوفين ، ونصرة المظلومين ، وعون المساكين ، وتتحاكم قبائل العرب إليهم ؛ إذا اختلفوا في ما بينهم ، ويرجعون إليهم إذا الأمر أهمهم – لا سيما عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ، صاحب المقام المهيب، والشأن العجيب ، والساحة ، والشجاعة ، والسخاوة ، والرأي الصائب ، والفكر الثاقب .

قال الحافظ الزرقاني : قد ورد ما يدل على أنه كان على الحنيفية والتوحيد حيث تبرأ من الصليب وعابديه .

فقد روى ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن عبد المطلب قال لما قدم أصحاب الفيل :

لاهُمّ إن المرء يمـ ** نع رحله فامنع رحالك

لا يغلبن صليبهم **ومحالهم أبدأ محالك

وفي طبقات ابن سعد بأسانيده المتعددة قال عبد المطلب لأم أيمن : يا بركة لا تغفلي عن ابني – محمد – صلى الله عليه وسلم – فإني وجدته مع غلمان قريباً من السورة – الشجرة – وإن أهل الكتاب – أي : علماء أهل الكتاب – يقولون : إن ابني محمد صلى الله عليه وسلم نبي هذه الأمة . أه.

قال عبد الله سراج الدين : فسمع ذلك عبد المطلب من علماء أهل الكتاب ، وأقر ذلك ، ولم ينكر عليهم ، وأخذت هذه البشارة من قلبه ونفسه موضع القبول والتسليم ، وأثرت فيه ، ولذلك أوصى به بركة – أم أيمن – حاضنته ، بالعناية والاهتمام به، وعدم الغفلة عنه – فافهم .

وكان عبد المطلب يقرب النبي صلى الله عليه وسلم : فكان يدخل على جده عبد المطلب إذا خلا ، وإذا نام ، ويجلس على فراشه ، وكان أولاد عبد المطلب لا يجلسون عليها .

قال ابن إسحاق : كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة ، وكان لا يجلس عليه من بنية أحد إجلالاً له ، وكان

يأتي – أي محمد صلى الله عليه وسلم حتى يجلس عليه ، فتذهب أعمامه أي : أولاد عبد المطلب يؤخرونه ، فيقول لهم عبد المطلب : دعوا – اتركوا – ابني ، ويمسح عبد المطلب على ظهره بيده ، ويقول : إن لابني هذا لشأناً .

ومن جملة الأدلة التي استدل بها الإمام فخر الدين الرازي وغيره على توحيد عبد المطلب أنه * انتسب إليه يوم حنين فقال :

أنا النبي لا كذب ** أنا ابن عبد المطلب

صلى الله عليه وسلم.

قال الإمام السيوطي : وهذا أقوى ما يقوى به مقالة الإمام فخر الدين ومن وافقه ، لأن الأحاديث وردت في النهي عن الانتساب إلى الآباء .

وقد توفي عبد المطلب وله ثمان سنين ، وقيل تسع ، ولعبد المطلب عشرة ومائة سنة ، وقيل : مائة وأربعون سنة ، وقيل : مائة – كما في المواهب وغيرها.

وقد أوصى عبد المطلب ابنه أبا طالب بكفالة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو طالب إذا أراد أن يطعم عياله – يغديهم ، أو يعشيهم – يقول : كما أنتم حتى يحضر ابني ، فيأتي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيأكل معهم ، فيفضل من طعامهم ، وإذا كان لبنا شرب – صلى الله عليه وسلم أولهم ، ثم يشربون ، فيروون كلهم من قعب واحد – أي : إناء واحد – وإن كان أحدهم ليشرب قعباً وحده .. فيقول أبو طالب : إنك يا محمد لمبارك .

وروى أبو نعيم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان بنو أبي طالب ليصبحون عمشا رمصاً، وكان يصبح صقيلا دهيناً كحيلا ، وكان أبو طالب يحبه حباً شديداً لا يحب أولاده كذلك ، ولا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرج به متى خرج . وكان يستسقي به في سنة القحط فيسقون .

وفي ذلك يقول أبو طالب في قصيدته المشهورة :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ** **ثمال اليتامى عصمة للأرامل**

صلى الله تعالى عليه وآله وسلم – قال الحافظ الزرقاني رحمه الله تعالى : وقال الشهرستاني : مما يدل على إثبات عبد المطلب المعاد والمبدأ ، أنه كان يضرب بالقداح على ابنه ، ويقول : يا رب أنت الملك المحمود ، وأنت ربي الملك المعيد ، من عنده الطارف والتليد.

قال : ومما يدل على موقفه بحال الرسالة ، وشرف النبوة ، أن أهل مكة لما أصابهم ذلك الجدب ، أمر عبد المطلب أبا طالب أن يحضر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير السن فاستسقى عبد المطلب به . اه.

وقد نقل ابن هشام وغيره عن الزهري أنه قال : كان عبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الإبل ، فجرت في قريش والعرب ، وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم . أه.

وقال الرشاطيّ رحمه الله تعالى : وكان عبد المطلب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية – أي : لم يشربها – وكان ينهى عنها ، ومن المعلوم أن نهي عبد المطلب عن الخمرة يتوجه أو لاً

على أولاده ، فقد نشأ ابنه عبد الله الشريف على تلك المبادىء الفاضلة ، والخصال الكاملة وتوفي وعمره ثمان عشرة سنة – كما تقدم عن العلائي

وإذا عرفت ذلك ، علمت أن الأبوين الشريفين ليسا من دعاة الضلالة ، ولا كانا من أهل الفساد في البلاد ، ولا من أهل الظلم للعباد ، وقد توفي والده عبد الله وهو شاب ما بلغ العشرين ، كما تقدم ، فأن له أن يظلم أو يدعوا إلى الضلالة ؟ فهما ليسا من القسم الثاني من أهل الفترة قطعاً ..

فهما إما من الصنف الثالث من أهل الفترة ، وهم ناجون غير معذبين ، للأدلة القرآنية القطعية الثبوت والدلالة ، ورواية : « إن أبي وأباك في النار » متكلم فيها ، ومخالفة لبقية الروايات في الحديث كما تقدم .

وإما أن يكون الأبوان الشريفان من الصنف الأول الموحدين ، الباقين على الحنيفية ، وهي ملة جدهما إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، كما يدل على ذلك ما يأتي :

الطريق الثالث في نجاة الأبوين الشريفين :

إن الأبوين الشريفين لم يثبت عنه ما شرك ، بل كانا على الحنيفية دين جدهما الخليل إبراهيم – على نبينا وعليه الصلاة والسلام – ، كما كان زيد بن عمرو بن نفيل وأمثاله ، وقد جزم الإمام الرازي بهذا القول ، وأت ى على ذلك بوجوه من الأدلة :

ومنها : ما جاء في الحديث الذي رواه أبو نعيم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات)) . وقد قال الله تعالى : ((إنما المشركون نجس)) الآية . قال الإمام الرازي : فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً –أي : فمن باب أولى الوالدان الكريمان ، فإنهما ليسا مشركين وقال : لأنه لو قيل إن فيهم مشركاً لتنافي هذا القول مع الآية .

أما أنك تقول : أراد بذلك الطهر من السفاح ، فهذا صرف للكلام عن المراد به ، فإنه ورد في عدة أحاديث ، فيها التصريح منه بأنه خرج من نكاح لا من سفاح – كما تقدم في قوله : ((خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي ، فأنا خيركم نفسا ، وخيركم أباً)) صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا أبدا .

قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى : وقد وجدت لقول الإمام الرازي أدلة قوية ما بين عام وخاص :

فالعام مركب من مقدمتين .

إحداهما : أنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن كل رجل من أجداده و هو خير أهل قرنه ، كحديث البخاري قوله : ((بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا ، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه)) ، وقد جاءت أحاديث كثيرة في هذا المعنى ، وفي طهارة أصله .

الثانية : أنه قد ثبت أن الأرض لم تخل من سبعة من المسلمين فصاعداً ، يدفع الله تعالى بهم عن أهل الأرض ، فروى عبد الرزاق في مصنفه وابن المنذر في التفسير بسند صحيح على شرط الشيخين عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال :

((لم يزل على وجه الأرض سبعة مسلمون فصاعدا ، فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها))

قلت –أي عبد الله سراج الدين – : وأحاديث الأبدال ثابتة عند أهل التحقيق .

وروى الإمام أحمد في الزهد ، والخلال في كرامات الأولياء پسند صحيح على شرطه ما عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : (ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله تعالى بهم عن أهل الأرض))

قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى : فإذا قرنت بين هاتين المقدمتين ..

أنتج ما قاله الإمام فخر الدين الرازي ، بأنه كل جد من أجداده و من جملة السبعة المذكورين في زمانه ، فهو المدعي – المطلوب .

وإن كان غيرهم لزم أحد أمرين :

إما أن يكون غيرهم خيراً منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح :

((بعثت من خير قرون بني آدم)) الحديث .

وإما أن يكونوا خيرا منه وهم على الشرك ، وهو باطل بالإجماع ، وفي التنزيل : ((ولعبد مؤمن خير من مشرك)) الآية ...

فثبت أن أجداده صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم هم على التوحيد ، ليكونوا خير أهل الأرض – كل في زمانه

قال – أي الحافظ السيوطي – : وأما الخاص : فروى ابن سعد في الطبقات عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام)

وروى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ((كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على شريعة نوح ، إلى أن ملكهم نمرود فدعاهم إلى عبادة الأوثان ففعلوا))

قال : فعرف من ذلك أن أجداد النبي و كانوا مؤمنين بيقين ، من آدم إلى زمن نمرود ، وفي زمنه كان إبراهيم الخليل) ثم قال : وقد صحت الأحاديث في البخاري وغيره وتضافرت نصوص العلماء بأن العرب من عهد إبراهيم هم على دينه ولم يكفر أحد منهم إلى عهد عمرو بن عامر الخزاعي – وهو الذي يقال له عمرو بن لحي – فهو أول من عبد الأصنام وغير دين إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وحمل العرب على ذلك وكان قريبا من زمن كنانة جد النبي .

ثم ذكر الإمام السيوطي رضي الله عنه ما يشهد لإيمان عدنان ، ومعد ، وربيعة ، ومضر ، وخزيمة ، وأسد ، وإلياس ، وكعب بن لؤي – وهكذا إلى أبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

وبهذا تعلم طهارة العمود النسبي من آدم عليه السلام إلى أبيه عبد الله – فكلهم أطهار من الشرك .

قال عبد الله سراج الدين : وقد بينت لك الأدلة أن آزر هو عم سيدنا إبراهيم الخليل – على التحقيق – وأما والداه فهما مؤمنان بنص : ((ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب))

هذا وقد ذكرت لك أيها القارىء الكريم ، صاحب القلب السليم ، أشهر الطرق التي سلكها كثير من الأئمة المحدثين ، وكبار من العلماء المحققين ، في نجاة الأبوين الشريفين ، وهناك طرق أخرى في نجاة الأبوين الشريفين ، هي مذكورة في رسائل متعددة ، للحافظ السيوطي ، ومذكورة أيضا في شروح الحديث ، وفي كتب السير، كالمواهب وشرحها وغير ذلك ...

والمحصل من البحث المتقدم : أن القول بنجاة الأبوين الكريمين هو المعتمد عند كثير من العلماء والفقهاء ، وأهل السنة من أئمة الحديث ، وهو الحق .

قال الإمام القسطلاني رحمه الله تعالى – بعدما نقل الكلام على نجاة الأبوين الشريفين – قال في [المواهب]: والحذر كل الحذر من ذكرهما بما فيه نقص ، فإن ذلك يؤذي النبي ، لأن العرف جار بأنه إذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه ، أو وصف بوصف . وذلك الوصف فيه نقص – تأ ذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة .

وقد قال : «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات » رواه الطبراني في معجمه الصغير .

قال الحافظ الزرقاني رحمه الله تعالى : وقد روى الإمام أحمد والترمذي عن المغيرة بن شعبة قال : قال رسول الله : ((لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء)).

وقال الزرقاني : وقد روى ابن منده وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاءت سبيعة بنت أبي لهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن الناس يقولون : أنت بنت حطب النار .

فقام رسول الله وهو مغضب فقال : « ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي ، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى))

ثم قال الحافظ الزرقاني رحمه الله تعالى : وقد بينا لك أيها المالكي حكم الأبوين ، فإذا سُئلت عنها فقل : هما ناجيان في الجنة – إما لأنها أحياهما الله تعالى حتى آمنا به ، كما جزم به الحافظ السهيلي ، والقرطبي ، وناصر الدين بن المنير. وإن كان الحديث ضعيفاً – ووافقه جماعة من الحفاظ – لأن الحديث الضعيف جاء في منقبة – أي : فضيلة . والحديث الضعيف يعمل به في الفضائل والمناقب عند المحدثين .

قال : وإما لأنها ماتا في الفترة قبل البعثة، ، ولا تعذيب قبلها ، كما جزم به العلامة الأبّي المالكي – شارح مسلم –

قال : وإما لأنهما على الحنيفية والتوحيد ، ولم يتقدم لها شرك، كما قطع به الإمام السنوسي والتلمساني المتأخر .

قال عبد الله سراج الدين : وذلك لأنه لم يثبت دليل على أنهما كانا مشركين .

قال الحافظ الزرقاني رحمه الله تعالى : فهذا ما وقفنا عليه من نصوص علمائنا – أي : المالكية . ولم نر لغيرهم ما يخالف قولهم ، إلا ما يشم من نفس ابن دجنة وقد تكفل برده القرطبي . أهـ

قال عبد الله سراج : وهكذا يقال لكل من الشافعية والحنفية والحنابلة : إذا سئلت عن الأبوين الكريمين فقل : هما ناجيان في الجنة ، بناء على الوجوه الثلاثة التي ذكرها الحافظ الزرقاني رحمه الله تعالى ، فقد أطبقت الأئمة ، والأشاعرة من أهل الأصول ، والشافعية من الفقهاء ، على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً ويدخل الجنة .

قال الحافظ السيوطي : وهذا مذهب لا خلاف فيه بين الشافعية في الفقه ، والأشاعرة في الأصول ، ونص على ذلك الشافعي في (الأم) و المختصر) وتبعه سائر الأصحاب من غير خلاف ، واستدلوا على ذلك بعدة آيات : منها قوله

تعالى : ((وما كنا مع بين حتى بعث رسولاً)) .. إلى آخر ما ذكره الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى . اه.

كما أن الحنفية متفقون على أن من مات من أهل الفترة على التوحيد فهو ناج ، مثل : قس بن ساعدة ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وغيرهما – وإنما الخلاف فيمن مات منهم مشركا . . .

قد ختم الحافظ الزرقاني رحمه الله تعالى ومن قبله هذا البحث بقوله : سئل القاضي أبو بكر بن العربي – أحد أئمة المالكية – عن رجل قال : إن أبا النبي في النار .

فأجاب : بأنه ملعون ، لقول الله تعالى: ((إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهيناً)) قال : ولا أذى أعظم من أن يقال : أبوه في النار.

ثم ذكر الحافظ الزرقاني قصة رواها ابن عساكر بسنده ، وأبو نعيم ، والهروي في (ذم الكلام) وفيها : أن عمر بن عبد العزيز سمع رجلا من كتاب دواوينه يقول : كان أبو النبي صلى الله عليه وسلم مشركا .

فقال عمر بن عبد العزيز : آه، ثم سكت ، ثم رفع رأسه ثم قال : أأقطع لسانه ؟ أأقطع يده ورجله ؟ أأضرب عنقه ؟ !!! ثم قال عمر بن عبد العزيز للرجل القائل ذلك : (لا تل لي شيئا) . أي : لا تتول لي أمر من الأمور ، وفي رواية : أعرض عنه وقال لوزيره : لا يلي لي شيئا ما بقيت ، وعزله عن الدواوين كلها – أي : جميع الوظائف . اه. ملخصاً .

وقد جاء في أبيات للسيدة آمنة رضي الله عنها قبيل وفاتها :

كما روى ذلك أبو نعيم في (الدلائل) من طريق ابن شهاب الزهري عن أسماء بنت رُهم عن أمها أن آمنة قالت مخاطب ة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي في علتها التي ماتت فيها :

بارك فيك الله من غلام

يا بن الذي من حومة الحمام

نجا بعون الملك العلام

فودي غداة الضرب بالسهام

بمائة من إبل سوام

إن صح ما أبصرت في المنام

فأنت مبعوث إلى الأنام

تبعث في الحل وفي الحرام

تبعث في التحقيق والإسلام

دين أبيك البر إبراهام

تبعث بالتخفيف والإسلام

فالله أنهاك عن الأصنام

أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت : كل حي ميت ، وكل جديد بال ، وكل كبير يفنى ، وأنا ميتة ، وقد تركت خيراً ، وولدت طهراً – ثم ماتت .

وللحافظ السيوطي – رحمه الله تعالى – رسائل متعددة في نجاة الأبوين الشريفين – فارجع إليها فإن فيها الأدلة الكافية والوافية .

الخاتمة :

الحمد لله الذي جعل من العلماء العارفين من يجلو الحقائق ويزيح الحجب ، وقد جاءت هذه الرسالة مختصرة وافية المقاصد تعرف الناس بحقيقة نجاة الأبوين الشريفين ، وتبعد المؤمن عن الأوهام التي أدخلها الجهال وذوو الأهواء .. وأسأل الله النفع والتبصرة والهداية لكل من قرأ هذه الرسالة وأن يكف الناس عن إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم في والديه .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام واغفر لي ولولدي وللمسلمين والمسلمين ، واجز الله بفضلك يا بر يا رحيم شيخنا عبد الله سراج الدين خير الجزاء على ما أنار لي من سبل الحقائق في هذا الموضوع ، والحمد لله رب العالمين .